القياس في اللغة[1]

الاب : شليمون ايشو خوشابا

قبل أربعين عاما وبالتحديد في العام ١٩٧٦ كتبنا مقالا عن اللغة الآرامية الشرقية الأدبية المعاصرة والتي سميناها في حينه (الآشورية الآرامية المعاصرة)، جئنا فيها على المشكلة العويصة في هذه اللغة الأدبية المعاصرة، ونقصد مشكلة القواعد وعدم الإتفاق عليها وحلّ معضلاتها لحد الآن، وبالرغم من أننا قدّمنا منهجاً لغويا منطقيا وعمليا لحل أية مشكلة في قواعد الأدبية المعاصرة، إلا أن غياب المؤسسات الأكاديمية أو بالأحرى مؤسسة أكاديمية قومية تُعنى باللغة القومية (الأدبية الكلاسيكية والأدبية المعاصرة) وتراثها، أبقى التخبط لدى غالبية الكتاب والمهتمين بها في الإملاء والقواعد، وسنتعرض إلى إحدى هذه المشاكل كنموذج، ولكن قبل أن نتعرض للمشكلة وحلّها نودّ أن يطلع القارئ الكريم على تلك المقالة التي كتبناها قبل أربعين سنة بهذا الخصوص، عسى أن توضّح المشكلة وتنير الحل...

كثيراً ما يحتدم النقاش بيني وبين صديقي حول أمور لغوية كثيرة وخاصة حول الصيغة الإملائية لكتابة مفردة ما بالآرامية الآشورية المعاصرة، فقبل أيام،

[1] نشرت في مجلة (قالا سوريايا) العدد الحادي عشر لسنة 1976- بغداد

مثلاً، وأنا أكتب كلمة ܒܚܲܐ بفتح الحاء اعترض على ذلك صديقي قائلاً أنه يُقال ܒܚܹܐ أي بزلام الحاء، وعندما أفهمته أنّ هناك لهجات آشورية كثيرة تلفظها بفتح الحاء إضافة إلى أنها كذا في السريانية، أصرّ على أنّ الشائع في الكتابة الحديثة هو بزلام الحاء، وطبعاً لم أتفق معه، ومسائل كثيرة كهذه وغيرها يدور الجدال حولها كثيراً بين أدبائنا وكتابنا، فالمفردة الواحدة، أحياناً، تلفظ بأكثر من صيغة ومنها تطابق السريانية وأخرى تغايرها، وإزاء هذه الإختلافات يجتهد كتابنا في تناول الصيغة القياسية في الكتابة. وهكذا نجد المفردة الواحدة تُكتب أحياناً كثيرة بتهجئات مختلفة طبقاً لإنتماء الكاتب اللهجوي.. فما القياس إذن في تناول تهجئة دون سواها في اللغة الكتابية؟..

طبعاً إنّ أية لهجة ليست قاصرة أو خاطئة كما يعتقد البعض، فاللغة هي وسيلة وليست غاية، وما دامت اللغة تؤدي غايتها فإنها صحيحة وقادرة، ولكن المشكلة عندنا هي عملية توحيد هذه اللهجات في لهجة أدبية واحدة، وبالرغم من أنّ هذه المشكلة ليست بعويصة، غير أنّ بعض الكتاب (يُعَوِّصونها) عمداً أو جهلاً بالأصول والأسس اللغوية. فالكاتب الآشوري، أحياناً كثيرة، يكتب اللفظة أو الصيغة كما هي في لهجته العامية، كما ذكرنا، دون اعتبار اللهجات الأخر واللغة السريانية وفي ذلك خطأ فادح يؤدي إلى تعدّد اللهجات الكتابية لا إلى توحيدها،

كما أنّ المفروض أيضاً باللهجة الكتابية ܠܫܢܐ ܣܦܪܝܐ أن تكون مُوَحَّدة وأن لا تنطبع، إلى حدّ ما، بطابع أو أسلوب لهجة ما، إنّنا نريدها أن تحوي الأصوات والمفردات والتراكيب القريبة من السريانية أو الشائعة كثيراً في الكتابية إضافة إلى مفردات السريانية نفسها.

ورُبَّ سائلٍ يسأل: لماذا الإصرار على قرابتها أو تقريبها من السريانية؟ أوَ ليست لغة قائمة بذاتها لها أصواتها ومفرداتها وتراكيبها؟ فلماذا نجعل السريانية فيصلاً يتحكّم فيها؟

صحيح أنّ اللغة الآشورية المعاصرة لغة قائمة بذاتها تختلف عن السريانية وإنّ التفاهم غير قائمٍ بينهما، لكن على أيّ أساس يمكننا توحيد هذه اللهجات العامية المتعددة في لهجة أدبية واحدة؟

إنّ اللغة الآشورية المعاصرة هي لغة آرامية شرقية متطورة (أنظر مقالنا في مجلة المثقف الآثوري العدد السادس والسابع ص٨)، وعندما كانت اللغة الآشورية في طور اللهجة الآرامية فإنّ التفاهم كان قائماً بين اللهجتين (الآثورية والسريانية) وبالرغم من أنّ السريانية لم تكن اللهجة المحلية المحكية في بابل وآشور غير أنّ الآشوريين اتّخذوها لغة رسمية لكنيستهم أينما ذهبوا وذلك بتأثير الرسل الذين تلمذوهم حيث كانت لهجتهم السريانية، وقد ألّف الأدباء والعلماء والفلاسفة الآشوريون مؤلفات عديدة بالسريانية وترجموا إليها من اليونانية خاصة

في كافة المجالات العلمية والأدبية والفلسفية واللاهوتية، وهكذا كانت السريانية لغة كتابية نابضة بالحياة حتى القرن الثاني عشر الميلادي حيث أخذ نجمها بالأفول وانحصرت بين جدران الكنيسة الأربعة وأصبحت غير مفهومة إلاّ من لدن الدارسين ورجال الأديرة، كما أنّه لم يطرأ عليها أيّ تطورٍ ملحوظ منذ القرن الرابع الميلادي، بينما طرأ على لغة الكلام (الآرامية الآشورية) تغييرات كثيرة نتيجة لاستعمالها في الكلام فقط واختلاطها مع لغات عديدة كالفارسية والتركية والكردية والعربية وذلك ما تقضي به قوانين التطور والصراع اللغوي التي تفعل فعلها في كل لغة حيّة، وهكذا ابتعدت لغة الكلام عن لغة الكتابة كثيراً ودخلت الأولى مرحلة اللغة بينما بقيت الثانية في دائرة اللهجة الآرامية وأصبح التفاهم صعباً بل غير ممكن بينهما كما هو الآن، كما اختلفت الآشورية إلى لهجات عديدة، وقد تأثرت كل مجموعة من هذه اللهجات بلغة من اللغات التي تعايشها كالفارسية والتركية والكوردية والعربية، ولكن بالرغم من هذه الإختلافات بين اللهجات الآشورية فإنّ التفاهم قائم بينها وخاصة في المدن حيث يختلط فيها أبناء اللهجات المختلفة.

قلنا إنّ السريانية هي لهجة آرامية، فهي تُمَثّل اللغة الآرامية أصدق من أيّة لهجة آشورية معاصرة، بالإضافة إلى أنّ السريانية هي اللغة التي كتب بها آباؤنا تراثهم الفكري والأدبي، إذاً فإنّ إصرارنا على جعل السريانية فيصلاً يتحكم في

المسائل اللغوية للآشورية المعاصرة، وتقريب الأخيرة من السريانية قدر الإمكان له ما يُبَرِّرُهُ. ثمّ أنّ الذين بدأوا بنشر هذه اللغة الأدبية الحديثة كتبوها بنفس الرموز الصوتية المستعملة في السريانية، والشئ الأهم هو أنّهم لم يكتبوا هذه اللغة طبقاً للّفظ المحكي، بل أنّهم حاولوا تقريبها شيئاً فشيئاً من السريانية قدر الإمكان، هذا ونورد هنا الأسس التي اتخذت بها بعثة كنتربري في الكتابة:-

١- إنّ اللغة المعاصرة يجب اعتبارها كلغة عريقة وليس كلغة مستحدثة أو مصطنعة، لذا فإنّ أصول الكلمات يجب أن تُعتبَر في الكتابة.

٢- إنّ اللفظ الأصلي للسريانية يجب أن يُؤخَذ كأساس.

٣- الأخذ من اللهجات القريبة من السريانية.

٤- إذا اختلفت كل اللهجات العامية عن السريانية فإنّ المفردة العامية هي التي تؤخذ في الكتابة.

٥- المفردات الدخيلة المستعملة في بعض اللهجات يجب أن تُستعمل بقلة.

٦- استعمال المبطل للأصوات التي سقطت من اللفظ الأصلي إستناداً إلى السريانية، باعتبارها تُمثّل الأصل.

وهكذا نرى أنّ الذين عنوا بنشر هذه اللغة لم يَبْغَوا فصلها أو إبعادها عن السريانية بل بالعكس من ذلك حاولوا تقريب اللفظ المحكي من اللفظ السرياني قدر الإمكان،

كما أنّهم أدخلوا مفردات جمّة من السريانية إلى الآشورية المعاصرة ولقد أصابوا في ذلك كلّه.

وبالرغم من أنّ بداية الكتابة بهذه اللغة كانت باللهجة الأورمية وفيها بالذات، غير أنّنا نلاحظ بعد حين اتّساع رقعة الكتابية وشمولها لهجات أُخرى وخاصة الجبلية ومن ثمّ السهلية مما أغناها وقوّى مركزها أكثر، كما أنها احتوت ولا زالت تحتوي الكثير من مفردات السريانية وتترك جانباً المفردات الدخيلة أو تُقلّلها شيئاً فشيئاً، ولكن بالرغم من كلّ هذا التشذيب الذي حصل في هذه اللغة فإنها لا زالت لدى الكثير من الكتاب محتفظة بأورميتها مما يجعلها ضيقة الأفق. ولقد كانت لهجة ألقوش الكتابية وإلى حين بعيدة كل البعد عن الأصول والأسس اللغوية، ولكنها أخذت تقترب شيئاً فشيئاً من هذه الأصول كما نلاحظ ذلك على صفحات هذه المجلة، وذلك ما يُساعد كثيراً على توحيد اللهجات في لهجة كتابية واحدة.

وأخيراً نعتقد إنّ اختيار اللفظة أو الصيغة والتركيب في الكتابية الحديثة على الأسس التالية سيساعد كثيراً في توحيد وإغناء الكتابية الحديثة لتأخذ مكانتها الملائمة في حياتنا الأدبية والثقافية.

١- إنّ اللغة الآشورية المعاصرة، هي لغة آرامية عريقة تختلف عن السريانية في أمور أساسية كما أوضحنا.

٢- أخذ المفردات والصيغ الصرفية والتراكيب النحوية التي توافق السريانية ومن أية لهجة كانت.

٣- المفردات التي لا نجدها في السريانية أو لا توافقها والتي ليست أجنبية تُؤخذ مع الأخذ بنظر الإعتبار شيوع المفردة أو الصيغة وخاصة في الكتابية.

٤- تنقية اللغة من المفردات الأجنبية واستعمال بدلها مفردات من السريانية، والمفردات التي لا مرادف لها في السريانية أو أنها مستعملة بكثرة فإنها تُؤخذ وتصاغ في قالب آرامي (آثوري أو سرياني) لتكون مقبولة وسهلة للأذن واللفظ، علماً أنّ ذلك لن يُضعف اللغة بل سيُغنيها أكثر ولنا من هذه المفردات أمثلة كثيرة.

٥- استعمال المبطل للأصوات التي سقطت من اللفظ قياساً على الأصل السرياني.

وعسى أن نُوَفّق جميعاً في كل ذلك.....

وهنا نود أن نتعرض للمشكلة النموذج وحلها على ضوء الأسس التـي أوردنـاه في مقالتنا المذكورة أعلاه نصا قبل أربعين عاماً ونحكّم العقل والمنطق على درب توحيد القواعد الصوتية والصرفية والنحوية للأدبية المعاصرة....

يختلف الكثير من الكتاب بل واللغوين المهتمين بالأدبيـة الحديثـة فـي صيغة كتابـة الفعل الماضي..

فمن يكتبه بصيغة: اسم المفعول المجزوم(حسب الكلاسيكية) + لام + ضـمير الفاعل، أي:

ܟܬܝܼܒ݂ܠܝ. ܟܬܝܼܒ݂ܠܘܿܗܝ. ܟܬܝܼܒ݂ܠܵܗ̇ ....

وآخـرون، ومـنهم كاتـب هـذه السـطور، يُفضـلون تطبيـق قاعـدة تقريـب الأدبيـة المعاصـرة مـن الأدبيـة الكلاسيكية علـى الأقـل بالصـورة الكتابيـة، كمـا قررنـا فـي المقالة المذكورة، أي نكتب:

ܟܬܹܝܒ݂ܠܝ. ܟܬܹܝܒ݂ܠܘܿܗܝ. ܟܬܹܝܒ݂ܠܵܗ̇....

وهذه الصيغة للفعل الماضي موجودة في الكلاسكية الأدبية، نحو:

ܩܵܡ ܠܹܗ ܡܵܪܝ̱ ܫܘܼܒ݂ܚܵܐ ܠܹܗ...

وهي صيغة توكيدية، ومن له دراية جيدة بقواعد السريانية الكلاسيكة يعرف ذلك جيدا.. أما صيغة أسم المفعول + اللام + ضمير الفاعل، فهي صيغة تستعمل فـي

الكلاسيكية مع الأفعال المتعدية فقط.. ونفضل الصيغة التوكيدية التي ذكرنا إختصارا أو إقتصادا في الكتابة.. طبعا يجب أن لا يغيب عن بالنا بأن الرموز الصوتية لأية لغة هي في الواقع قاصرة بدرجة أو بأخرى عن تمثيل اللفظ الدقيق للأصوات المنطوقة، خاصة إذا عرفنا أن الإختلافات في نطق الأصوات اللغوية تختلف ليس من مكان لآخر أو من سبط لآخر بل من شخص لآخر، لا بل يختلف نطق الصوت الواحد من قبل شخص معين كل مرّة ينطق به.. وبذلك فإن قواعد اللغة الأدبية هي ضوابط يُتّفق عليها لتوحيد اللهجات المحكية للغة ما في ما تُسمّى باللغة الأدبية أو الفصحى، وليس شرطا أن هذه القواعد توافق كل اللهجات.. ولكن كلما كانت هذه القواعد واضحة وتستند إلى أساس منطقي أو إتّفاق عام، كانت أكثر قبولا وشيوعاً..

كما قلت فإن مشكلتنا الأساسية في الإتفاق على قواعد الأدبية المعاصرة، هو أننا نفتقر إلى وجود هيئة أو أكاديمية قومية تُعنى باللغة القومية (الكلاسيكية والمعاصرة)، وعليه ندعو من هنا كافة الكنائس المشرقية السريانية إلى تشكيل هيئات من الخبراء والمهتمين باللغة والتراث ليتم التنسيق فيما بينها لتأسيس هيئة قومية للغة تُعنى بضبط قواعد الأدبية المعاصرة ونشر الفصحى وتراثها بين أبنائها...

والله الموفق...